ملخص رسالة الدكتوراه التي بعنوان :

(غيول ضلاع همدان تقنية شقها ونظام توزيع مياهها – دراسة اثرية)

وادي ضلاع همدان ذكر في كتاب الاكليل للهمداني باسم (ضلع) وكذلك باسم (ضلع شاهرة) ،(الهمداني، ج2، 2010م: 153) ارتبط ذكره واحداثه السياسية مع وادي ضهر فكان يمثل البستان الجنوبي لمدينة دورم وجزء من أراض مملكة ذي مأذن، فمن التسميات الشائعة في مجتمع الوادي أنه الضلع المرتبط بالضهر بمعنى انه امتداد لوادي ضهر، والمعنى الاخر ان ضلاع بمعنى ضياع وهي الحقول الزراعية والبساتين اشتهرت بإنتاج أصناف الفواكه وأهمها الاعناب.

يقع وادي ضلاع همدان الى الجهة الشمالية الغربية من العاصمة صنعاء يبعد عنها بحوالي 12 كيلومتر، يحده من الجهة الشمالية وادي ضهر ومن الجهة الغربية وادي الغيل (بيت مجحز وحصن لولوة وحصن ريعان)، ومن الجهة الجنوبية بيت عذران من قرى مديرية بني مطر ومنطقة مذبح من قرى مديرية بنى الحارث، ومن الجهة الشرقية يطل على قريتي ذهبان وثقبان من مديرية بني الحارث، ينقسم إدارياً الى قسمين النصف الأعلى من الوادي يتبع مديرية همدان محافظة صنعاء والنصف الأسفل من الوادي والتي تشمل منطقة ربع السادة وشملان مديرية معين التابعة لأمانة العاصمة.

يعتبر وادي ضلاع همدان من احدى الوديان التابعة لحوض صنعاء تحيط به الجبال البركانية التابعة للحقبة الثلاثية والمتميزة بالحفاظ على المياه من ثلاث اتجاهات الشمالية والجنوبية والغربية وسهله الفيضي يتشعب من بين السلاسل الجبلية متجهة صوب الجهة الشرقية وهو وادي شبة مغلق، تضيق مساحة الوادي في الأعلى وتتسع كلما اتجهت نحو الأسفل في منطقة شملان، يوجد للودي حوض تجميعي لمياه الامطار يمتد جهة الجنوب يقدر مساحة بحوالي 50 كم وهو يعد المصدر الوحيد المغذي للمياه الجوفية والسطحية، وهذا ما جعل الوادي يزخر في الماضي بكثافة منظومات الغيول المائية.

تشير الدلائل الاثرية التي تم الاستشهاد بها أن وادي ضلاع همدان تم استيطانه منذ العصور البرونزية فقد ظهرت شواهدها على سفوح وقمم الجبال المحيطة به، عبارة عن مستوطنات ذات مساكن شبة دائرية، بحيث استمر الاستيطان البشري للوادي وظهرت شواهد فترات العصور

التاريخية التي تعود الى ما قبل العصـــور الإســـلامية، وخاصـــة فترة مملكة ذي مأذن التي يقدر ظهورها للقرن الأول الميلادي بحيث تشـــير النقوس التي تم العثور عليها في الوادي، عن أعمال انشـائية تتعلق ببناء واسـتصـلاح المنشـاة المائية مثل سـواقي الغيول وقنواتها المائية، واسـتصـلاح الأراضـــي الزراعية وتشـــييد وبناء جدران الحقول الزراعية، فقد عثر في الوادي على تســـع منظومات لغيول مائية امتدت شـــبكات قنواتها الحاصـــدة والمجمعة للمياه تحت الأرض لمئات الأمتار، امتدت على طول مسـاحة الوادي، عبارة عن قنوات شـقت مجاريها في جوف الصـخور البركانية ومعظمها بنيت جدران سـاندة وسـقفت بالأحجار المهندمة، يتخللها فتحات طويلة تشـبه (الابار) كانت للتهوية ورفع المخلفات ســـواء اثناء الشـــق والتوســـعة أو اثناء عمليات التنظيف والمســـر اطلق عليها (كور)، فتقنية هذه الكور اتصـــلت بالقنوات الأرضـــية التي اطلق عليها (الجيلان) ومفردها (جال) ومعناها احداث مجال او فراغ في جوف الأرض لهدف حصـــاد مياه الجيل المترسب بين الصـخور، فكانت بمثابة تقنية هندسـية عظيمة اسـتمرت بعطائها الزاخر لمدة 20 قرن من الزمان حتى تم اهمالها وتركها قبل خمسين عام.

لذلك تم اختيار وادي ضـــلاع همدان موضـــوعاً لرســـالة الدكتوراه نظراً لأهمية الوادي وموقعه الاسـتراتيجي والحضـاري التابع للنظام الإداري القديم الذي كان يحكمه أبناء واحفاد ذي مآذن الذين اسـتطاعوا ان يجسـدوا حضـارتهم التي كرسـوها في حجز المياه والاسـتفادة منها، فقد وضعوا لها أنظمة وآليات وقوانين استمرت لألف السنين وحتى وقت قريب مما جعلنا نعمل جاهداً في توثيق وتسجيل ما رووه كبار السن عن ما تبقى من هذه الحضارة التي أصبحت شبة منقرضة.

وكذلك عدم وجود الأبحاث والدراســـات العلمية التي تتناول الموقع الاثرية والتاريخية عن الوادي أو حتى الجيولوجية أو البيئية فلم يجد الباحث أي دراسات او أبحاث متخصصة، والتي تم العثور عليها كانت عبارة عن بيانات ومعلومات إحصـائية في مشـاريع التعداد السـكاني فقط، مما جعل الباحث يختار هذا الموضوع وينال شرف أول دراسة علمية متخصصة.

سـعى الباحث من اول أيام اختيار الموضـوع بالنزول الميداني واجراء المسـح الاثري على طول مساحة الوادي بالكامل وتم إعداد خريطة عامة للوادي واسقاط الموقع الاثرية عليها وتحديد أماكن الموقع الاثرية كلا بحسب فتراتها التاريخية وتم تحديد رصد وتتبع مجاري الغيول وحصر قنوات مذشاتها وتسجيل أنظمتها وتقنية توزيع المياه، وقد استعان الباحث في تنفيذ برنامج المسح الاثري مثل جهاز (gps) وبرنامج (goole earth) المســـاعد في التصـــوير الجوي وأجهزة التصوير والتوثيق المساحي وغيرها.

استند الباحث الى المناهج العلمية في اعداد دراسته مثل المنهج الوصفي الذي استخدم في وصف الغيول وشبكات قنواتها المائية وكذلك منهج التحليل والمقارنة الذي استخدم في تصنيف والكشف عن نظام توزيع مياه الغيول، وأيضا استخدام الباحث المنهج النوعي المتخصص في استدراج الشخص المستهدف وجعله يتحدث عن أي موضوع بكل حرية تدون ظهور كبار السن بمن لهم علاقة بأنظمة الغيول حصاد المعلومات واستخراجها من افراد المجتمع وخاصة كبار السن دون التكتم عنها واخفاء حقيقتها.

اقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم الى ستة فصول يسبقها مقدمة ويليها خاتمة وقائمة بأسماء المصادر والمراجع العربية والأجنبية وقائمة بأسماء المقابلات الشخصية، يتلوها ملحق بالخرائط والاشكال والصور وتضمنت الخاتمة التالي :

- من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن غيول وادي ضلاع همدان تعد من الغيول المصطنعة بفعل هندسية تم ابتكارها وتنفيذها عن طريق اكتشاف المياه السطحية في باطن الأرض بواسطة الابار اليدوية ثم تم التخطيط لشق قنوات في باطن الأرض لإخراج المياه المتجمعة من قاع الابار الى سطح الأرض في نقطة محددة تساوي مستواها نقطة قاع الابار اليدوية لتخرج على شكل غيول مائية.
- وفق نتائج الدراسة التي تتبعت مخططات قنوات الغيول في باطن الأرض اعتمدت هذه الغيول المائية على مصادر المياه المتجمعة في الطبقات الصخور تحت مواقع السدود والحواجز المائية، وكذلك على المياه المتجمعة في الروافد المائية بحيث تم شق القنوات من تحتها لغرض حصاد المياه المتغلغلة بين الحصى والرمل، وكذلك عن طريق اغلاق نظام القفطات للكور أو الكضائم بهدف حبس بخار المائية المتكون نتيجة الرطوبة العالية في قنوات الأرضية وتكثيفها وتساقطها على شكل قطرات مائية تساعد في تغزير مياه الغيول.
- من خلال النزول الميداني تبين أن غيول وادي ضلاع همدان تعرضت للإهمال وتُركت القنوات الأرضية (الجيلان) الخاصة بتجميع المياه من باطن الأرض في ثمانينات القرن الماضي، وذلك بسبب ظهور الحفر العشوائي للآبار الارتوازية مما جعل تنظيف هذه قنوات من الاعمال الشاقة والمكُلفة مقارنة بما تقوم به الارتوازات بتوفير المياه بسهولة، وعليه ننوه أن الغيول مازالت تؤدي وظيفتها السابقة وأن الماء مازال موجود في باطن الارض وما على الأهالي الا التكاتف والبحث عن التموين لتنظيف وصيانة قنوات الجيلان وبإذن الله ستعود الى ما كانت عليه في الماضي.